بسم الله الرحمن الرحيم

هل ابن تيمية متهم بالتطرف ؟

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله (وبعـــد)

استكمالا لما وقفت عنده فى مقالى السابق عن ذلك الكاتب الكبير فى الجريدة اليومية الكبرى الذى كتب مواقف متعارضة حمل فيها على ابن تيمية حملة شعواء .. حتى ألقى على عاتقه فى النهاية مسئولية كل انحراف أو غلو دون أن يفند قضايا محددة ، بل كانت الحملة على مؤلفاته الى أن زعـــم أن أبا الأعلى المودودى والجماعات الـــدينية المتطرفة من الـــذين تأثروا بآراء ابن تيمية .. ولكن الحق خـــلاف ذلك ..

هناك فـــرق كبير بين ابن تيمية من ناحية والجماعات الدينية المتطرفة والمودوديين من ناحية أخرى .

ابن تيمية كان حربا على كل ما يخالف نهج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وله حملات مشهورة على كل الفرق الاسلامية فى مسائل أخذها عليهم ، وهو فى ذلك يستضىء بنور القرآن والحديث. وقـــد كانت مناظراته فى أمور الدين سبب محنته ، حيث ضاق بـــه مخالفوه ، فكانت الوشاية به عنـــد الحكام حيث أودع السجن عدة مرات .

وان كنا لا نستطيع أن نستعرض مقدرته العلمية فى مقـــال ، فيكفى أن نعلم أن مصنفاته تبلغ حوالى خمسمائة من المجلدات فى الفقه والتفسير والأصول وغير ذلك .

ولما كان عصر ابن تيمية غارقا فى التقليد .. كان من الطبيعى أن يكون ابن تيمية فردا فى زمانه ، حتى اختلف أهل ذلك الزمان فى شأنه بين مؤيد له ومنكر عليه . وفى هذا يقول الشوكانى رحمه الله : « وهذه قاعدة مطردة فى كل عالم يتبحر فى المعـــارف العلمية ويفوق أهل عصره ، ويدين بالكتاب والسنة ، فانه لا بد أن يستنكره المقصرون، ويقع له معهم محنة بعد محنة ، ثم يكون أمره الأعلى وقوله الأولى، ويكون له بتلك الزلازل لسان صدق فى الآخرين ، ويكون لعلمه حظ لايكون لغيره . وهذا حال الامام ، فانه بعد موته عرف الناس مقداره، واتفقت الألسن بالثناء عليه ، الا من لا يعتد به ... »

ويقول عنه الذهبى رحمه الله : « لا يؤتى من سوء فهم فان له الذكاء المفرط ، ولا من قلة علم فانه بحر زاخر ، ولا كان متلاعبا بالدين ، ولا ينفرد بمسائل بالتشهى ، ولا يطلق لسانه بما اتفق ، بل يحتج بالقرآن والحديث والقياس ويبرهن ويناظر ، أسوة بما تقدمه من الائمة »

أما الشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله فقد قال عن ابن تيمية : « فكر فى القرآن الكريم ، وتعلم من مائدته ، واجتهد فى استخراج فقهه ومعانيه ، وتعرف أحكامه ومراميه ، فكان فى نهجه رجلا سلفيا يتبع ولا يبتدع »

* * *

أما الجماعات الدينية التى وصفت بالتطرف ، فان فكرها لا يختلف كثيرا عن فكر الخوارج ، الذى يخالف النهج الصحيح الذى

سار عليه رسـول الله صلى الله عليه وسلم ومن بعـده الصحابة والتابعون رضوان الله تعالى عليهم ... ولا شك أن الذين حملوا لواء هذا الفكر من الشباب المخلصين لدينهم ، ولكن قلة بضاعتهم من فقه الاسلام وأصوله ، وعدم تمكنهم من العلوم الاسلامية وعلوم اللغـة جعلهم يأخذون ببعض النصوص دون البعض ، أو يأخذون بالمتشابه ويتركون المحكم ، أو يأخذون بالجزئيات ويتركون القواعد الكلية ، أو يفهمون بعض النصوص فهما سطحيا سريعا ... وقـد أدى ذلك الى أن وجدنا من يعتقد كفر من ارتكب معصية من المعاصى وان صام وصلى ، ووجدنا من يضيف الى ذلك مجاراة المسلمين فى عباداتهم ومعاملاتهم مع الاعتقاد بكفرهم ، متأولين لذلك بأنهم فى عصر الاستضعاف ...

وأقول : أين هذا الفكر فى مؤلفات ابن تيمية ؟ من قال ان ابن تيمية هو صاحب هذه المدرسة الفكرية فعليه أن يأتى بالدليل ... اذا كان كتيب (الفريضة الغائبة) الذى كتبه أحد المتهمين فى قضية اغتيال الرئيس السادات قد اعتمد على فتوى لابن تيمية عن التتار، فقد دافع وزير الاوقاف (المفتى السابق) عن ابن تيمية فى هـذه الفتوى ، وفند ما جاء فى الكتيب عنها . واذا كان البعض قد جعـل من كتاب ابن تيمية (السياسة الشرعية فى اصلاح الراعى والرعية) هـدفا لهجومه فقد دافع عنه شيخ الازهر ، وقـال انه من الكتب الجامعة فى أسلوب الحكم والسياسة فى الاسلام .

* * *

أما الجماعة الاسلامية التى أسسها بالهند منذ حوالى أربعين عاما أبو الأعلى المودودى ـ رحمه الله ـ فلها من الفكر ما يبعدها عن القول بأنها تأثرت بمؤلفات ابن تيمية . واذا تعرضت لبعض الملامح

الفكرية للمودوديين فـــلا أقصد التشهير بهم ، أو العمل على زيادة الفرقة (بضم الفـــاء) الموجودة بينهم وبين السلفيين وغيرهم فى الهند :

أولا ــ اهتم أبو الاعلى المودودى أولا وقبل كل شىء بضرورة اقامة الحكومة الاسلامية وجعل ذلك فى الأهمية مقدما على تصحيح العقيدة ، كما زعم فى بعض مؤلفاته أن الصـــلاة والصوم والزكاة والحج انما فرضت للتدريب على اقامة الدولة .

ثانيا ــ كان من نتيجة تركيزهم على مسألة اقامة الحكومةالاسلامية ــ دون الاهتمام بالعقيدة ــ أن أطلقوا أقلامهم وألسنتهم بالثناء على الخومينى امام الشيعة الاثنى عشرية وقائدالثورة فى ايران وتأييد مواقفه واستحسان ميوله واتجاهاته ... مع ماهو معروف عن هذا المذهب الشيعى بصفة عامة . ولاننسى ماقاله ابن تيمية فى الشيعة : « انهم أضر على الاسلام من اليهود » .

ثالثا ــ وبسبب التركيز على مسألة اقامة الحكومة الاسلامية فسر أبو الأعلى المودودى هـــذه الكلمات الأربع (الاله والرب والعبادة والدين) تفسيرا غير معروف فى خير القرون ، وذلك فى كتابـــه (المصطلحات الاربعة) . وكان أن رد عليـــه أبو الحسن الندوى فى كتابه (التفسير السياسى للاسلام) ورد عليه كذلك حسن الهضيبى رحمه الله فى كتابه (دعاة لاقضاة) ولا يتسع المجال لايراد ما ورد فى هذه الكتب حول هـــذه القضية ...

رابعا ــ المودوديون زعموا فى بعض كتبهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قبل النبوة يرجو وينتظر أن ينزل عليه الوحى.

والحقيقة عند السلف أن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه حتى بعد نزول الوحى عليه أول مرة لم يكن يدرى أنه الوحى نزل به جبريل ، فذهب مع أم المؤمنين خديجة رضى الله عنها الى ورقة بن نوفل حيث وجد عنده الجواب •

هذه ــ باختصار ــ بعض أوجه الخلاف الفكرى بين ابن تيمية والمودودين ••• فكيف يقال بعد هذا انهم تأثروا بمؤلفات ابن تيمية ؟

* * *

وأعود مرة أخرى الى ذلك الكاتب الكبير الذى أشار الى ابن تيمية بأصابع الاتهام ، فأقول : لا تلقوا باللوم على ابن تيمية ولا على أبى الاعلى المودودى أو غيرهما ، وابحثوا عن أسباب أخرى••• ولو فعلتم لوجدتم الداء والعلاج واضحا ••• فانه كلما ابتعد المجتمع عن تعاليم الاسلام زادت الفرصة لظهور الجماعات المتطرفة •

لو أن أجهزة الدعوة الرسمية وغير الرسمية قامت بدورهاحيال الدعوة ، وبينت للشباب بصفة خاصة ما له وما عليه على ضوء الكتاب والسنة ••• وبينت كذلك لأولى الأمر ما يجب عليهم حيال اقامة المجتمع المسلم ••• وتحققت القدوة الصالحة التى تسير على هدى الاسلام ••• لو تم ذلك لاستطعنا أن نجنب شبابنا التطرف والانحراف، ونجنب مجتمعنا مثل هذه الهزات ، ونكون قد استجبنا لحكم الله ••• بدلا من أن نلقى بالتهم على أعلام الاسلام •

أسأل الله عز وجل أن يوفقنا لاعلاء كلمته • وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه •

رئيس التحرير

نفحات قرآن

بقلم بخاري أحمد عبده

بسم الله الرحمن الرحيم

« يأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ، ولا تموتن الا وأنتم مسلمون ، واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم ، فأصبحتم بنعمته اخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ، ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون ، ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات ، وأولئك لهم عذاب عظيم » .

واكبنا القرآن يزجى آيات بينة ، تتهادى ذخائرها الى الأفئدة سخاء ، رخاء ، ميسرة ، هادية الى خير الدارين ، مشيدة حول الحياتين بروج الأمن ، وقلاع المنعة والعزة .

وارتدنا فى هدى الآيات السهول ، وجبنا الآفاق ، وأمسكنا والقرآن يسد منافذ الشقاق ويمن علينا بنعمة الوفاق ، ويستأنس بصورتين يعالج بهما نزعات الشقاق ، ويلأم ثغر الوفاق : صورة تمسك بحجز الماضى القريب يوم كانوا فى الجاهلية وكانوا ، وصورة تنتزع من التاريخ وتلابس من حولهم من أصحاب الديانات . وقرأنا

يومئذ قرآنا قول الحق : « ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات ، وأولئك لهم عذاب عظيم (١) »

والآية تشجب كل عمى فى رائعة النهار ، ولكنها بالدرجة الأولى تعرض بأهل الكتابين ، وترفض مسلكهم ، وتحذر من شططهم المودى، ومنهجهم المنحرف • هذا المنهج الذى كان يقض مضجع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يتمثله يدب دبيبا نحو أمته ، وحين كان يتفرس القرون فيرى فى دياجيرها الأمة ممسوخة ، متخبطة ، كابية ، تنبش مهاوى الأولين • فيظل رسول الله صلى الله عليه وسلم يحذر (لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتى بأخذ القرون قبلها) • البخارى • (لتركبن سنة من كان قبلكم حلوها ومرها) « أخرجه الشافعى بسند صحيح » ويصدق هذا مارواه البخارى عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا شبرا ، وذراعا ذراعا ، حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم • قلنا يارسول الله : اليهود والنصارى ؟ قال : فمن ؟ ولقد روى ابن جرير الحديث عن أبى هريرة مسبوقا بقسم صريح « والذى نفسى بيده لتتبعن ••• » ثم شفع الحديث بقوله : اقرءوا ان شئتم القرآن: « كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة ، وأكثر أموالا ، وأولادا ، فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم ، وخضتم كالذى خاضوا ، أولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون » التوبة ٦٩

كل ذلك اتباعا للهوى ، وكفرانا بالحق ، وادلاجا مع نوازع الكبر والحقد والحسد وامعانا فى الضلال رغم بلجة الآيات ، ووضوح البينات العقلية والشرعية التى تكفل اتحاد الوجهة ، ووضوح الرؤية،

---

(١) لنا وقفة ان شاء الله مع قوله سبحانه « ولتكن منكم أمة »

وقهر النزعات • لذا ناسب أن يغلظ الله عليهم الوعيد ، وأن يشير اليهم اشارة توحى بالنبذ والاقصاء •

والعجب أن تصم الآذان عن كل هذه التحذيرات ، وأن يسقط رءوس هذا العصر فى وهدات الأولين ، ويشتملوا اشتمال الصماء بكل تلك الصفات المرذولة ، فينسلخوا عن حقائق العلم ، ويعاقروا الأهواء، ويصيروا وفق ما أخرج ابن أبى خيثمة من طريق مكحول عن أنس رضى الله عنه : « قيل يارسول الله متى يترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ؟ قال : اذا ظهر فيكم ما ظهر فى بنى اسرائيل • اذاظهر الادهان (١) فى خياركم ، والفحش فى شراركم ، والملك فى صغاركم (٢) والفقه فى رذالكم »

الوحدة درع غامر

والذين تجمعت فيهم تلك الخلال المقصية عن رحاب الله ينتمون الى الطاغوت • والمؤمن انما ينتمى الى الله مولاه لايتجاوزه الى غيره • والانتماء الى الله اطار جامع تغمره ولاية الله • فالله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور ، والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت ، يخرجونهم من النور الى الظلمات مصداق آية البقرة (٢٥٧) التىتفرض على المؤمنين وحدة الجهةموحية بما ينبغى أن يكونوا عليه من وحدة الصف والكلمة ، والغاية والوسيلة • والآية اذ تفرض وحدة جهة الولاء بالنسبة للمؤمن ، واذ تثبت للكافرين تعدد الجهة ، وتنوع الأولياء (٣) ، تقرر فى الوقت نفسه أنهم أشتات تحركهم وحدة الحمأة والهوى والمهوى (٤)

والله كى يسبل على المؤمنين أزر الرعاية والولاية نزل الكتاب بالحق ، وان الذين اختلفوا فى الكتاب لفى شقاق بعيد « البقرة ١٧٦ »

---

(١) النفـــاق .
(٢) صغار النفوس
(٣) وذلك بجمع المبتدأ « اولياؤهم »
(٤) وذلك بافراد الخبر « الطاغوت »

فجمع بأنوار كتبه على الصراط قلوبا مهيأة بطبيعتها الطينية أن تذهب بددا بكل واد شعبة مصداق الأثر : ان قلب ابن آدم بكل واد شعبة فمن أتبع قلبه الشعب كلها لم يبال الله بأى واد أهلكه • ومن توكل على الله كفاه •

وهو سبحانه سكن أسباب الفرقة المحتدمة التى تعتمل فى الكيان بهدايات الدين التى جمعت المؤمنين على كلمة سواء فوق درب سوى « كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ، وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ، وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم ، فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه ، والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم » البقرة ٢١٣ •

وحتى تظل حواجز الدين حصينة ، وكلمة المؤمنين جامعة ، جلجل نداء السماء عبر الرسالات « أن أقيموا الدين ولاتتفرقوا فيه ••• » الشورى ١٣

وتقرر أن التفرق بعد أن وضحت المعالم ، وسمق بناء الدين ، وسدت ثغر ابليس بغى ، وتنطع ، وهوى منحرف ، ولجاج داحض « وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيابينهم ولولا كلمة سبقت من ربك الى أجل مسمى لقضى بينهم ، وان الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفى شك منه مريب ، فلذلك فادع واستقم كما أمرت ، ولا تتبع أهواءهم ، وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب ، وأمرت لأعدل بينكم ، الله ربنا وربكم ، لنا أعمالنا ولكم أعمالكم ، لاحجة بيننا وبينكم ، الله يجمع بيننا واليه المصير ، والذين يحاجون فى الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم ، وعليهم غضب ، ولهم عذاب شديد • الله الذى أنزل الكتاب بالحق والميزان » الشورى •

ويبرز سبحانه مشاهد المختلفين محاطين بالويل والحسرات مدموغين بالغفلة المفضية الى الكفر : « فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشـــهد يوم عظيم ، أســـمع بهم وأبصر يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم فى ضلال مبين ، وأنذرهم يوم الحسرة اذ قضى الأمر وهم فى غفلة وهم لا يؤمنون » مريم ٣٧ — ٣٩

وتأكيدا لنداء الوحدة الذى تردد عبر الأديان ، ووقوفا بهذه الأمة على مرافىء اليقين خصص القرآن من بعد اجمال وساق تلك المعانى فى خطاب مباشر الى محمد صلى الله عليه وسلم « وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه ، وهدى ورحمة لقوم يؤمنون» النحل ٦٤ ثم يخص المؤمنين من أتباع محمد بنهى عن التنازع خاص « يأيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا ، واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ، وأطيعوا الله ورسوله ولاتنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم، واصبروا ان الله مع الصابرين » الأنفال ٤٥ — ٤٦

ويبين الله أنه سبحانه يرأب بالقرآن الصدع ، ويلحم اللبنات، ويسد ما بينها من شقوق « وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الـــذى اختلفوا فيه ، وهدى ورحمة لقـــوم يؤمنون » ان الشقاق مهلكة مشأمة ، وان الوفاق مرحمة ومكرمة « ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة ولكن يدخل من يشـــاء فى رحمته ؛ والظالمون مالهم من ولى ، ولا نصير ، أم اتخذوا من دونه أولياء ، فالله هو الولى ،وهو يحيى الموتى ، وهو على كل شىء قدير • وما اختلفتم فيه من شىء فحكمه الى الله •• »

الوحدة اذن درع غامر ، وهى غيظ الأعداء ، وكيد الشيطان •• والشيطان همه أن يجرد الأمة من هذا اللباس ويعرضها فى ســـوق النخاسة مكشوفة عارية الا من آصار ابليس ، وأغلاله « يابنى آدم

لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما » الأعراف ٢٧

اختلاف أمتى رحمة

والشيطان فى دهاء يجرى على بعض الألسنة قولا منسوبا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه الطبرانى والبيهقى بسند ضعيف (١) ، وهو حديث « اختلاف أمتى رحمة » والمتمذهبون المتعصبون يلوكون هذا الحديث ، ويتمادى بعضهم فى الضلال فيزيد « واتفاقهم نقمة »

والحق أن ما يلوكونه مخالف لمفهوم قول الله (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ..) هود ١١٨ — ١١٩

فالاختلاف اذن شأن من لم يتداركهم الله برحمته .

ومخالف كذلك لما رواه مسلم « لا تختلفوا فتختلف قلوبكم »

ومخالف لما رواه أحمد وأبو داود بسندهما عن أبى عامر عبد الله ابن يحيى قال : (حججنا مع معاوية بن أبى سفيان فلما قدمنا مكة قام حين صلى العصر فقال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ان أهل الكتابين افترقوا فى دينهم على ثنتين وسبعين ملة ، وان هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة ، « يعنى الأهواء » كلهم فى النار الا واحدة وهى الجماعة ، وانه سيخرج فى أمتى أقوام تجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه لا يبقى منه عرق ولا مفصل الا دخله ...)

---

(١) ولا يعرف له سند قوى

ان الاختلاف مهما كان حجمه ، طريق نقمة لا نعمة • ولذلك أمرنا — فيما يرويه مسلم — أن نستهدي الله دائما وندعوه أن يجنبنا الضلال « يا عبادى كلكم ضال الا من هديته فاستهدونى أهدكم » وعلمنا — مما يرويه مسلم — دعاء رسول الله فقد روت عائشة أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول اذا قام من الليل : اللهم رب جبرائيل، واسرافيل ، وميكائيل ، فاطر السموات والأرض ، عالم الغيب والشهادة. أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون • اهدنى لما اختلف فيه من الحق باذنك ، انك تهدى من تشاء الى صراط مستقيم •

لقد خضنا خوض فارس والروم وأهل الكتابين وأفضى ذلك الى تعدد المنازع وأسلم للاختلاف والاقتتال « ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ، ولو شاء الله ماقتتلوا ولكن الله يفعل مايريد» البقرة •

وأسلافنا قد اختلفوا بحسب ما أدى اليهم اجتهادهم ، أو بحسب ماقام لديهم من دليل • ولكن لم يضلل بعضهم بعضا ، ولم يدع أحدهم أنه على صواب لا يحتمل الخطأ • واختلافهم لم يتجاوز الفروع ، ولم يصطبغ بصبغة المكابرة والتعصب • والحاسم فى مواقف الشطط تحكيم ما أنزل الله بحق قول الله فى سورة الشورى « وما اختلفتم فيه من شىء فحكمه الى الله ، ذلكم الله ربى عليه توكلت ، واليه أنيب » وبحق قوله فى سورة النساء « فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا »

ولا شك أن جمع كلمة المسلمين على ما أنزل الله أوجب واجبات الأمراء • ورعاية لهذا ، وايصادا لمنافذ الشتات حتم الاسلام الامارة. وما أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلين فصاعدا لشأن الا

أمر منهم أميرا وأمر بمتابعته لتنتظم الأمور ، ويتجنب الاضطراب والاختلال •

والاسلام درءا لمفسدة التمزق والتدابر يوصى بالطاعة فى المنشط والمكره ، ويحث على الصبر وضبط النفس الى أبعد مدى عند التعامل مع أصحاب الامارات • روى البخارى عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من رأى من أميره شيئا يكرهه فليصبر عليه فانه من فارق الجماعة قيد شبر فمات الا مات ميتة جاهلية » وأخرج الترمذى عن ابن عمر أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الله لا يجمع أمتى على ضلالة ، ويد الله مع الجماعة ومن شذ شذ فى النار »

ان ما بتنا نعانيه من تنافر وتمزق تزيين شيطان وخروج عن نطاق ولاية الرحمن الى متاهات معتمة • ونحن حين ننصرف الى هذه المتاهات نكون أدنى درجة من أولئك الذين عكفوا على ما لا يضر ولا ينفع ، فندد الله بهم فى آية ينبغى أن تظل حديث نفسك لنفسك، آية تغرى بالمنهج السوى وتبين مقوماته وتحذر من تلبيس ابليس ، وتقفك على صداقات السوء ، وشعارات التضليل ، وتعتبر كل ذلك ردة حضارية وانتكاسة عقدية « قل أندعو من دون الله مالا ينفعنا ، ولايضرنا ، ونرد على أعقابنا بعد اذ هدانا الله ، كالذى استهوته الشياطين فى الأرض حيران له أصحاب يدعونه ، الى الهدى ائتنا ، قل ان هدى الله هو الهدى وأمرنا لنسلم لرب العالمين • وأن أقيموا الصلاة واتقوه ، وهو الذى اليه تحشرون ، وهو الذى خلق السموات والأرض بالحق ، ويوم يقول كن فيكون قوله الحق ، وله الملك يوم ينفخ فى الصور ، عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير » الأنعام ٧١ — ٧٣

بخارى أحمد عبده

يتبع ان شاء الله ..

بَابُ السُّنَّة

يقدمه

فضيلة الشيخ محمد علي عبد الرحيم

الرئيس العام للجماعة

تحريم الشفاعة فى الحدود

عن عائشة رضى الله عنها : أن قريشا أهمهم شأن المرأة المخزومية التى سرقت . فقالوا : من يكلم عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالوا : ومن يجترىء عليه الا أسامة بن زيد ، حب رسول الله صلى الله عليه وسلم . فكلمه أسامة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتشفع فى حد من حدود الله تعالى ؟ ثم قام فاختطب ثم قال : انما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا اذا سرق الشريف تركوه ، واذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد . وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها . متفق عليه .

وفى رواية : فتلون وجهه صلى الله عليه وسلم ، فقال أتشفع فى حد من حدود الله ؟ فقال أسامة : استغفر لى يارسول الله . قال : ثم أمر بتلك المرأة فقطعت يدها .

المفردات

أهمهم	= أحزنهم
المرأة المخزومية	= كانت امرأة تستعير حلى النساء للعرائس ولا ترد لأربابهن فاعتبرت بمنزلة السارقة

قالوا من يكلم فيها رسول الله = يريدون الشفاعة لها عند رسول الله لمنزلة قبيلتها بين العرب •

ومن يجترىء = ومن يستطيع أن يكلم رسول الله بشأنها للعفو عنها

حدود الله = شرائعه ومحارمه

اختطب رسول الله = قام فى الناس خطيبا •

أقاموا عليه الحد = عاقبوه بقطع يده •

وأيم الله = قسما بالله •

تلون وجهه = تغير من الغضب وكان لايغضب الا اذا انتهكت حرمات الله •

المعنى

الاسلام دين العدالة والمساواة ، لا يفرق بين غنى وفقير ، ولا بين شريف ووضيع الا بالتقوى •

ومن الأمور المسلم بها أن انتشار الجرائم فى الأمة ، وارتكاب المنكرات مما يعوق تقدمها ، لأنه يسمح للأشرار بالتعدى على الآمنين، وسلب أموالهم • وقد يودى بكثير من الأرواح ، ويجترىء الأشرار على التعدى على الآمنين ، وسلب أموالهم •

من أجل ذلك جعل الاسلام علاجا لدرء هذه الأخطار ، فجعل من وسائل العلاج لهذه الحال معاقبة الجانى ، والضرب على يده ، كى لا يعاود الى فعل جريمته ، كما ينزجر غيره ممن تحدثه نفسه بالاخلال بأمن الناس ، والتعدى عليهم •

ومن شر الجرائم السرقة ، التى فيها اعتداء على أموال الناس• وقد جعل الله تعالى لها عقوبة فى كتابه العزيز ، تناسب فداحةضررها، وتقضى على جرثومتها وهى قطع يد السارق •

ذلك أنه اذا لم يعاقب بما يزجره ، ويكف غيره ، امتدت أيدى المجرمين الى أموال أولى الجد والعمل التى اكتسبوها بجدهم وكدهم وادخروها لحاجاتهم • فلا يطمئن أحد على ماله ، ولا يسعى لانماء ثروته وترويج تجارته •

ولقـــد خطب النبى صلى الله عليه وسلم فى عرفات فى حجة الوداع • وكان مما قال : كل المسلم على المسلم حرام : دمه ، وماله، وعرضه •

كما خطب فى منى يوم النحر بعد أن رمى جمرة العقبة ، فقال ان دماءكم ، وأموالكم حرام ، كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا (ذى الحجة) فى بلدكم هذا (مكة المكرمة)

فاذا تراخى الآخذ بالأمر ، فى الأخذ بشريعة الله تعالى اســتمرأ اللصوص السرقة وجعلوها حــرفة لهم ، وهاهى الصحف اليومية طافحة بأخبار المجرمين ، الــذين يســطون على المنازل بالمطاوى ، ويسرقون السيارات ، لا مرة ولا مرتين ، بل عشرات المرات ، ولا يجدون من السجن رادعا ، ولا من القانون الوضعى زاجرا •

وبذلك كثيرا ما يختل الأمن ، وتزهق الأرواح ، لأن الانسان اذا وجد من يمد يده الى أمواله ، ويأخذها بغير حق ، هب للدفاع عنها ، واستعمل كل وسيلة لحفظها ، ورد من يريد أخذها ولو بالقوة فيفضى ذلك الى اراقة الدماء •

كما أن التهاون فى عقوبة السارق ، يؤدى الى كثرة اللصوص ، واستهتارهم بحقوق غيرهم ، فيكف العاملون المجــدون عن العمل ، وينتظمون فى سلك أولى البطالة والكسل • فتقعد الأمة عن النهوض بحاجات أبنائها ، ويصير اليسير من أمرها عسيرا • وذلك هــدم لبناء المجتمع ، وتقويض لدعائم الأمن والرخاء •

ولما كان الدين الاسلامى دين مساواة ، لا يمتاز أحد فيه على أحد الا بالعمل الصالح ، بل كل الناس أمام أوامره ونواهيه سواء ، وجب تنفيذ أحكامه على الجميع ، لا يعفى منها عظيم ولا شريف •

وفى هذا الحديث ، عز على بعض الصحابة أن تقطــع يد المرأة المخزومية لحسبها ونسبها بين العرب • وتساءلوا عمن يستطيع أن يشفع لها عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ليعفو عنها • فطلبوا من أسامة بن زيد وهو من المحبوبين المقربين الى رسول الله صــلى

الله عليه وسلم فقد ولد أسامة فى الاسلام ، ومات النبى صلى الله عليه وسلم وله عشرون سنة ، ومن رجاحة عقله فى سن الشباب ، أن جعله الرسول أميرا على جيش عظيم • فمات النبى صلى الله عليه وسلم قبل أن يتوجه ، فأنفذه أبو بكر ، وكان عمر يجل أسامة ويكرمه فى العطاء على ولده عبد الله بن عمر •

ولما تكلم أسامة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شأن هذه المرأة ، غضب النبى صلى الله عليه وسلم وتغير وجهه (وكان لا يغضب الا لله ، أو اذا انتهكت حرمات الله) وأغلظ فى القـــول لأسامة حبيبه ، وقال له : (أتشفع فى حد من حدود الله ؟) ثم أقسم الرسول صلى الله عليه وسلم بالله تعالى ، وقال لو أن ابنته فاطمة سرقت ما تردد فى قطع يدها • أى أنه لا تأخذه رحمة ولا صلته بابنته عن قطع يدها اذا ارتكبت ما يستوجب قطع اليد •

ما يستفاد من الحديث

(١) يبين الرسول صلى الله عليه وسلم أن من أسباب هلاك الأمم ، وسرعة فنائها تفشى المحسوبية ، بأن يحابى (بفتح الباء والبناء للمجهول) الأشراف والرؤساء وذو الجاه والمناصب العالية ، فلا توقع عليهم العقوبة اذا ما ارتكبوا جريمة •

(٢) كما يوضح صلى الله عليه وسلم أن معاقبة الضعيف الـــذى لاجاه يحميه ، ولا عصبية تؤويه وترك القوى دون عقوبة يؤدى الى التفرقة بين الأفراد فى المعاملة ، وهى تثير الحقد بين الناس ، وتبعث كامن العداء فى صدورهم ، فيضطرب حبل الأمن بين الناس ، وتقوض دعائم العدالة وينتهى الأمر الى مالا تحمد عقباه •

(٣) ورد فى نهاية الحديث (لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها) وفى هذا الأسوة الحسنة ، والقدوة الطيبة برسول الله صلى الله عليه وسلم • فهو لا يتجاوز عن حد من حدود الله ولو كان فى أعز الناس وأحبهم اليه : ابنته فاطمة الزهراء رضى الله عنها

والله ولى التوفيق

محمد على عبد الرحيم

أسمار و أباطيل

بقلم

على عيد

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .. أما بعد ..

يحلو لبعض المنتسبين الى العلم أن يردد على الناس فى المواسم المنتسبة الى الاسلام ، كثيرا من الغرائب والعجائب ، وكلما أغرق أولئك الرواة فى الاغراب والبعد عن المعقول ، كلما بوأتهم العامة والدهماء منازل العلماء والمحققين ، وعلم الله كم يقترفون فى حق الله ورسوله والاسلام والمسلمين من آثام ، تكاد السماوات يتفطرن منها وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا ، والعجب العجاب أن تؤخذ هذه الأسمار مأخذ اليقين والتحقيق ، رغم كونها لا تمت الى الحقيقة بسند ، ولا تحظى بشرف الانتساب الى العلم المقبول والمعتمد لدى جمهور المحققين من أعلام الأمة .. !

والأمر المؤسف أن تتخلل هذه الأباطيل أحاديث المحاضرين المحسوبين على العلم ، الذين يثورون الثورة العارمة ، مهددين متوعدين بالويل والثبور وعظائم الأمور ، باكين هيبة العلم والعلماء، اذا ما ناقش قلم كاتب بعض ما كتبوا وما أذاعوا ، الا أن يكون الكاتب من ذوى المناصب السياسية ، فتخرس الألسنة وتقصف الأقلام ، الا أن تعود مؤيدة مجندة لفكره ، داعية الى قبول الرأى والحوار وحرية الفكر ، وتبحث عن مخارج لتبرير مواقف سابقة ، ولله فى خلقه شئون ..!

فمن هـذه الأفكار والروايات التى يذيعهـا المادحون وأشـباه العلماء فى ذكرى المولد النبوى ، مايقال من أن النبى صلى الله عليه وسلم حين ولد ، خرج معه نور أضاء قصور بصرى ، ويقولون ان هذا الحديث رواه ابن سعد فى الطبقات ، .. اذن فيأيها المشتغلون بعلوم الحديث ، لاتبحثوا عنها فى كتب الحديث المعتمدة لدى أهل السنة ، لا فى الكتب الستة ولا فى المسانيد ولا فى السنن وانما عليكم بكتب التاريخ فستجدون هذه الرواية فيها ، وبدلا من تربية النـاس وعقائدهم على صريح القرآن وصحيح السنة ، نغذى هذه العقائد بما وهن وتهافت من كتب التاريخ ..!

نعم روى المسند وابن حبان قول النبى صلى الله عليه وسـلم حينما سئل عن بداية أمره : « دعوة أبى ابراهيم ، وبشرى عيسى بن مريم ، ورأت أمى أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام » وهذه الرواية وأمثالها فى مسند أحمد والحاكم وابن حبان تفيد بأنها رؤيا منامية ، غير أن ابن سعد سامحه الله يصر أن نورا حسيا خرج من بطن أم النبى بعد ما وضعته أضاء لها قصـور بصرى ، وبعد هذه الروايات عن الصحة والسلامة لا يخفى على المتدبر ، ولكنك تجد من يذيعها على أنها علم صحيح والمقصود هو أن يكون المتحدث ملما بكل غريب وعجيب حتى يحظى باعجـاب الدهماء والبسـطاء الذين لا يفرقون بين الغث والسمين ..!

وما يروونه أيضا من أنه صلى الله عليه وسلم حين وضعته أمه ، وقع ساجدا رافعا بصره الى السماء ، قابضا قبضة من تراب ، وزاد السهيلى فذكر أنه أشار بالسبابة كأنه يسبح بها ، وأنه لما ولد عطس فسمعت أمه قائلا يقول يرحمك الله ، وألبسته وأضجعته وغفلت عنه، فأخذتها قشعريرة ورعب وظلمة ، وسمعت قائلا لا تراه يسأل آخر لايرى أيضا : أين ذهبت به ؟ فيجيبه الثانى : الى المغرب ويذهب عنها ما رأته ، ثم تعود الظلمة والرعب والقشعريرة ، ثم تسمع من

يسأل ولا تراه : أين ذهبت به ؟ فتسمع المجيب ولا تراه : الى المشرق .

أقول ان مثل هذه العقلية الخرافية التى دونت هذه الروايات فى كتب المسلمين انما تكيد للاسلام كيدا أكيدا ، اذ ان تربية العقول على الخرافة مما يوهن البناء العقائدى للانسان والأمم ، ويصرف العقلاء عن الدين ويزرى بنا بين الأمم ، غير أن المولى عز وجل حين هيأ لعلوم السنة جهابذة المسلمين لنقد رواياتها وتمحيصها قد سد أبوابا من الفتنة لا يعلم مداها الا الله ، بيد أن الداهية الدهياء ، أن نرى من هيئات العلماء من ينصرف عن العلم الصحيح المحص والمحقق الى مثل هذه الواهيات يذيعها بين الناس تحت سمع وبصر المسئولين الذين حملوا الأمانة وسيسألون عنها ولا ريب ، فهم لا يكفيهم مثلا ما ورد فى كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ولا يكفيهم ماثبت معتمدا فى كتب السنة الصحيحين والسنن والمسانيد ، بل يبحثون فى كتب التاريخ فيلتقطون كل ماغرب لفظه واستنكر معناه ، ويجهدون فى اضافة كل هذه الغرائب الى شخص النبى صلى الله عليه وسلم ، فاذا كان القرآن يذكر عن يوسف عليه السلام رؤياه أنه رأى الشمس والقمر والكواكب تسجد له ، فان النجوم والكواكب أيضا سجدت للنبى صلى الله عليه وسلم يوم ولد فى اليقظة لا فى المنام ، واذا كان عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام تكلم فى المهد ، فان النبى صلى الله عليه وسلم هو الآخر تكلم فى المهد وكانت أول كلماته : الله أكبر كبيرا ، والحمد لله كثيرا .. وأنه كان يكلم القمر وأنه وضع تحت برمة كعادة نساءقريش فانفلقت عنه شاخصا ببصره الى السماء ، وأنه حين ولد ارتجس ايوان كسرى وسقطت شرفاته البضع والعشرون ، وخمدت نيران المجوس ، وغاضت بحيرة ساوة ، وسد نهر دجلة ، وهذا لعمر الحق اذا قاله من ينتسب الى العلم وجب أن تشهر به العامة ويخلع من

هيئة العلماء ، لأنه لا يخجل من فضح جهله على الملأ ، وهو يعلم أنه قد قامت معارك ضارية بين المسلمين ـ وفيهم الصحابة ـ والفرس، ووجدوا نهر دجلة جاريا ، وشرفات قصر كسرى قائمة مكانهـا وايوانه قائما صحيحا ، والنيران التى يعبدونها كما هى وبحيرة ساوة كما هى، ألا يستحى أولئك الناس من الله ، فيبحثون عن العلم النافع يقدمونه للناس ، ولست أفهم ما الفائدة التى تعود على الناس من ذكر هذه الأشياء عليهم ، انها لا تسمن ولا تغنى من جوع ، ولكن المؤكد أنها تفسد .. ، نعم تفسد العقائد وتفسد العقل وتفسد النفوس ، وتريب الانسان فى معلوماته الدينية .. ألا قاتلهم الله .. !

ويروون أيضا أن النبى صلى الله عليه وسلم ولد مختونا مقطوع السرة ، ويعتمـدون على رواية الطبرانى وأبى نعيم التى تقـول : « من كرامتى على ربى أنى ولدت مختونا ولم ير أحـد سوأتى » ، وزعم الحاكم فى المستدرك أن خبر ولادته مختونا متواترا ، فتعقبه الذهبى رحمه الله فقال : ما أعلم صحته فكيف يكون متواترا ؟! والحق أن مستدرك الحاكم حوى كثيرا من الطامات الجسام ، وربما توهم أولئك الناس أنه شرف للنبى أن يولد مختونا ، فيكذبون عليه ، وهم لو علموا يقينا كراهته للكذب وبراءته من الكذابين لمـا أقدموا على صنيع ذلك الأمر الشنيع ، اذ الأولى بالقبول والتصديق ماروى وما عليه المحققون من أن جده ختنه وسماه على عادة العرب ، وانظر زاد المعاد وتحقيق ابن القيم فى المسألة .

وما ترويه قرائح أولئك السـمار أن الله من على النبى فأحيـا أمه وكذا أباه ، فآمنا به ثم ماتا مرة أخرى ، ونظموا فى ذلك من الأشعار ما تستريح به أهواؤهم ، واذا كان القرآن يصرح بقوله تعالى : « ألم يجدك يتيما فآوى » أتى أولئك فبحثوا عن رواية فى كتاب من كتب التاريخ ، وتزعم أن الله تفضل على النبى فأحيا له أبويه فآمنا به ثم ماتا ، ونسى المفتونون أن أفعال الله سبحانه انما

البقية صفحة (٣٨) ..

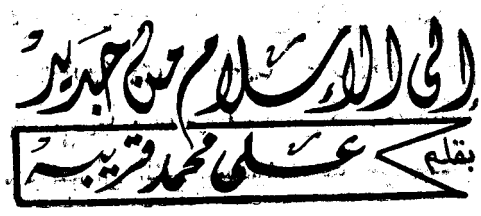

— ٨ —

وصلنا فى مقالنا السابق الى أن الأمة الاسلامية قد وصلت الى الصورة المشرقة من السلوك البشرى بفضل المنهج الاسلامى .. الذى اختاره الله تعالى لهـذه الأمة الوسط ، وجعله جامعا لمزايا الرسالات السابقة ودستورا يناسب تطور البشرية الى وضعها الأفضل . ذلك لأنها أصبحت بعد مراحل التعاليم السماوية السابقة بحاجة الى تكاليف وعبادات وشرائع تعالج الروح والبدن معا ، وتلاحظ فيها فطرة الانسان وطاقته بحيث تلبى تلك الفطرة وبحيث يتجه بهذه الطاقة الى البنـاء والاستعلاء فلا تبقى حبيسة كالبخار المكتوم ولا تنطلق انطلاقة الحيوان الغشـوم .

ذلك المنهج الاسلامى مع ما فيه من مزايا اقتضتها سنة التطور الا أنه عريق أصيل فى ماضى البشرية موصول الماضى بالحاضر ، متصل الحلقات من عهد ابراهيم عليه السلام ، لم تفصل بينها فجوات مضيعة لمعالم العقيدة وصدق الله العظيم (وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس) .

وقبل ظهور الاسلام كانت البشرية قد آلت الى فوضى ، ولـم تعد لها قيادة راشدة تقوم على منهج ثابت قويم ، فرسالة السماء التى تقود البشرية قد آلت الى اختلاف بين أتباعها والذين جـاءوا من بعدهم تلقوها فى ريبة لا تستقيم معها قيادة البشرية وصدق الله

العظيم (ولقد آتينا بنى اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين • وآتيناهم بينات من الأمر فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ، ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون • ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون • انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وان الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولى المتقين) •

وقبل ظهور الاسلام كانت الدنيا مقسمة الى امبراطوريات أربع: الامبراطورية الرومانية فى أوربا وطرف من آسيا وافريقية ، الامبراطورية الفارسية التى يمتد سلطانها على جزء كبير من آسيا وافريقية ، والامبراطورية الصينية والامبراطورية الهندية • كذلك كانت الرسالتان السماويتان قبل الاسلام تحت نفوذ الامبراطورية الرومانية والامبراطورية الفارسية بصورة من الصور •

فى هذا الوقت جاء الاسلام لينقذ البشرية كلها مما انتهت اليه من انحلال وفساد واضطهاد وجاهلية عمياء • وجاء ليهيمن على حياة البشرية ويقودها فى الطريق الى الله على هدى وعلى نور • ولما كان مصدر الوحى السماوى واحدا والاتجاه واحدا وهو « التوحيد » فان الله تبارك وتعالى اختار القيادة الجديدة للبشرية جمعاء حازمة مستقيمة على نهج واضح ويقين ثابت مستقيم على أمر الله دون انحراف • لتنأى هذه القيادة عن الأهواء المنحرفة ولتعلن وحدة الرسالة ووحدة المنهج والطريق ، ولترد الايمان الى أصله الثابت الواحد ولترد البشرية كلها الى الأصل الواحد • وصدق الله العظيم (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) وصدق الرسول الكريم (ان مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله الا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له

ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ؟ قال : فأنا هذه اللبنة وأنا خاتم النبيين) .

نعم . لقد جاء هذا الدين ليعصم البشرية من الأهواء المتفرقة التى لا تستند على حق ولا تستمد من علم وانما تتبع الشهوات بغير ضابط ولا دليل .. لأنه متناسق مع الفطرة السليمة باعتبار أن كلا منهما من صنع الله وأن كلا منهما موافق لناموس الوجود ... والله الذى خلق القلب البشرى هو الذى أنزل اليه هذا الدين ليحكمه ويقومه من الانحراف . فاذا انحرفت النفوس عن الفطرة لم يردها اليها الا هذا الدين المتناسق مع فطرة البشر وفطرة الوجود .. ومن هنا كان مجيء الاسلام الى الناس بمنهجه الربانى رحمة لهم وبهم وصدق الله العظيم (وما جعل عليكم فى الدين من حرج) وصدق الله العظيم (وما أرسناك الا رحمة للعالمين) .

والمنهج الاسلامى بما فيه من تكاليف وعبادات وشرائع جاء مناسبا وموجها للبشرية جمعاء بلا تمييز بين أفرادها من حيث الجنس أو اللون أو الوراثة الاجتماعية .. لأنه موجه أساسا الى الفطرة التى فطر الله الناس عليها .. ومعنى هذا أن الاسلام دين الحياة المتطورة طبيعيا واجتماعيا وعقليا . ليظل صالحا لكل زمان ومكان الى قيام الساعة كما أراده الله وصدق الله العظيم (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) .

ولكى يتوفر فيه عنصر الثبات والاستقرار جعل الله طبيعته قائمة على أسس هى الكليات التالية : ـ

أولا : أن تعاليمه تحمل الهداية للبشر فى دنياهم وأخراهم بمعنى أنها تحض على جلب المنفعة ودفع الضرر فى حدود الآداب التعبدية التى تضمن لهم رضاء الله ، والنعيم المقيم فى الآخرة . وصدق الله

العظيم (وما جعل عليكم فى الدين من حرج) وصدق الرسول الكريم (انما أنا رحمة مهداة) .

ثانيا : أن رسالته انسانية ، لا تتصادم مع حقائق الحياة ، وتمنح الفرص المتكافئة وحرية التفكير للبشر على السواء ، وتعترف بغرائزهم وميولهم ولكنها تصرفها فى قنوات شرعية تجنبا للكبت والانحراف ، وتحترم العمل وتحض عليه . وصدق الله العظيم (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) وصدق الرسول الكريم (الناس سواسية كأسنان المشط) .

ثالثا : أن رسالة الاسلام تقدر العلم والعلماء وتحض على النظر والتفكير فى الكون . وصدق الله العظيم (شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط) (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ؟ انما يتذكر أولو الألباب) وصدق الله العظيم (قل انظروا ماذا فى السموات والأرض) وصدق الله العظيم (ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب) .

رابعا : أن رسالته تجعل التقوى أساسا لتقويم الانسان ، كما تجعل العدل أساسا للحكم والتقاضى . قال تعالى (ان أكرمكم عندالله أتقاكم) وقال عز من قائل (ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا، اعدلوا هو أقرب للتقوى) .

خامسا : أن رسالته تدعو الى التعارف والتعاون والى الحرية والاستقلال فى حدود ما شرع الله . فهذا قوله عز من قائل (يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا). وذلك قوله سبحانه (لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى) وهذا قوله تعالى (وكلوا واشربوا ولا تسرفوا) .

سادسا : أن رسالته مرنة تتناول المسائل الكلية وتدع الجزئيات للحوادث الاجتماعية وتطور الحياة اجتماعيا واقتصاديا • وصدق الله العظيم (فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) وصدق الرسول الكريم (أنتم أعلم بأمور دنياكم) حين سألوه عن تأبير النخل •

سابعا : أن رسالة الاسلام تغذى الجانب الروحى والجانب المادى فى الانسان بما يحقق التعادل بين مطالب الجسد ومطالب الروح ليشعر بالانسجام النفسى والسعادة الدنيوية والأخروية • وصدق الله العظيم (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا) •

ثامنا : أن رسالة الاسلام سهلة لا تعقيد فيها ولا غموض ولا رهبانية ، وتنصوصها تجمع بين البساطة والعمق وصدق الله العظيم (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) وصدق الله العظيم (انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون) •

وهكذا رأينا أن هذه الكليات الأساسية فى الاسلام متناسقة مع فطرة الانسان بحيث تتسع لكل المتغيرات التى يتعرض لها فى حياته الاجتماعية فى كل زمان ومكان •• مما جعل مؤرخا عربيا مسيحيا يدعى (فيليب متى) يعترف بذلك فيقول (الاسلام حضارة عامة شاملة تنتظم كل من يعيش تحت سمائها فى حرية وصفاء اذ يعيش غير المسلمين مع المسلمين على قدم المساواة) ثم أضاف بعد ذلك قوله (ان المسيحيين استأذنوا السلطات الدينية فى أن تكون المواريث فى الشرق العربى هى نفس المواريث التى قررها الاسلام فأذنت السلطات بهذا) وهذه حقيقة يسجلها التاريخ كما يسجلها الواقع العملى فى كل دولة اسلامية يعيش فيها أقلية من أهل الكتاب • أما ما يشاع خلاف ذلك فانه دعوى بغير دليل يقصد بها ايقاف المد الاسلامى الذى يوشك أن يعم الدنيا

بضيائه كما أشرقت به من قبل وصدق الله العظيم (يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواهم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) •

كما رأينا أن هذه الكليات الأساسية الاسلامية متناسقة مع الفطرة البشرية بحيث يحدث التوازن بين التكاليف الدينية فلا تشق على النفس حتى تمل وتيأس من الوفاء ولا تسهل وتترخص حتى تشيع فى النفس الرخاوة والاستهتار ولا تتجاوز القصد والاعتدال وحدود الاحتمال•

وغير ذلك كله فان الاسلام ينظم علاقات الناس بعضهم ببعض أفرادا وأزواجا ، حكومات وشعوبا ، دولا وأجناسا ، ويقيم هذه العلاقات على الأسس الوطيدة التى لا تتأثر بالرأى والهوى ، ولا تصرفها المصالح والأغراض •• ولا عجب فان تلك الأسس من وضع العليم الخبير الذى هو أعلم بمن خلق ، وأعرف بما يصلحهم فى كل أرض وفى كل جيل • ولا يلمس قيمة هذا الدين العظيم الا المستمسكون به الملتفون حول قرآنه •• أما من عداهم •• فلا يبصرون نوره ، ولا يدركون حقيقته ويكون يوم القيامة حجة عليهم ومبعث وبال يحيط بهم وصدق الله العظيم (ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما) •

ولرب سائل يسأل •• كيف يمكن أن يتواجد المناخ الاسلامى الصحيح الذى لا يظهر فيه المنكر الا على استحياء ولا يختفى فيه المعروف الا لماما وشذوذا ؟ وأين السبيل الى اسلام يتجلى فى أفراد ملتزمين بآدابه وحكومات تسهر على تنفيذ حدوده ؟ •

والجواب هو ما سنتعرض له بمشيئة الله تعالى فى مقال لاحق• فالى لقاء •

على محمد قريبه

الدعاء لله وحده

بقلم

أحمد طه نصير

ان سلامة العقيدة وصحتها يتوقف عليها مصير المسلم كله • ومن هنا كان التركيز على تصحيحها وتوضيحها هو الركن الأساسى فى دعوة الأنبياء ومن سلك سبيلهم من المصلحين • وهو القاعدة التى قدمها رسول الله صلى الله عليه وسلم لصناديد قريش يوم جاءوا يفاوضون عمه أبا طالب بغية اصلاح ما بينه وبينهم فقال لهم : نعم كلمة واحدة تعطونيها تملكون بها العرب ، وتدين لكم بها العجم، تقولون لا اله الا الله وتخلعون ما تعبدون من دونه • وكان مفهوم كلمة التوحيد من الوضوح فى أذهان زعماء المشركين يومئذ بحيث لم يجدوا حاجة الى أى جدل فى شأنه فرسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقبل منهم الا التحرر الكامل من كل عبودية لغير الله • وهم لايريدون الانسلاخ من تقاليد الشيوخ والآباء ولو كانوا لا يعقلون شيئا ولا يهتدون • ان التوحيد توجيه الولاء كله لله • فكما أنه الخلاق الرزاق وحده ، كذلك هو المنفرد بحق الطاعة والعبادة واسلام الوجه • وان ضراعة المؤمن لربه من أوجب أمور الايمان لما فيه من دوام الصلة به سبحانه وتعالى ، ولما يحمل من معانى الانابة والاخبات لجلال وجهه الكريم •

ان الدعاء سلاح المؤمن ، بل هو العبادة ، لما له من مكانة فى رسوخ الايمان ، وحفاظا على الافادة من تكامل جوانبه والالمام به بصورة توضيحية ، لنعرف ما يذخر به من معان عظيمة فى جانب الصلة بالله رب العالمين • وتلك الغاية والمبتغى • وفى الكتاب الكريم كثير

من الآيات فى فضل الدعاء واستجابته وآدابه وأحواله • وهى تشترط الاستقامة على أمر الله الذى له الخلق والأمر ، وعنده الخير وبيده الملك وهو على كل شىء قدير • من ذلك قوله تعالى (وقال ربكم ادعونى أستجب لكم) ٦٠ ــ غافر • وقوله (واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون) ١٨٦ البقرة • وقوله (أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء) ٦٢ النمل • وهى توضح أن الدعاء سبيل الهداية والرشاد وطمأنينة وأمن الخائف والعائذ والمضطر ، وتبشر الداعين والمستغفرين بجنات النعيم والرضوان والمغفرة والرحمة لأنهم آمنوا بأن لهم ربا كريم يغفر الذنوب فأنابوا اليه مخلصين •

وأما السنة فهى كثير أدعية من جوامع الكلم الطيب تبين واسع فضل الله العظيم الذى لا ينفد عطاؤه •

والدعاء ضرورة للمؤمن واقرار منه بكمال الله فى صفاته ، فيدعوه العبد بطلب العفو والمغفرة والرحمة لأنه سبحانه الغفور الرحيم • ويدعوه بطلب الرزق لأنه الرزاق • ويدعوه بالعافية وتيسير الأمور والتوفيق لأنه المنعم المتفضل الذى بيده ملكوت كل شىء الغنى الحميد • منها حديث مسلم يجمع بين خيرى الدنيا والآخرة (اللهم اغفر لى وارحمنى واهدنى وعافنى وارزقنى) وحديث أبى داود اعتراف بالفضل وواجب الشكر (من قال حين يصبح ــ وحين يمسى ــ اللهم ما أصبح بى من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر) أما البخارى فيروى سيد الاستغفار عنه صلى الله عليه وسلم (اللهم أنت ربى لا اله الا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت • أعوذ بك من شر ما صنعت • أبوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبى فاغفر لى فانه لا يغفر الذنوب الا أنت) من قالها موقنا بها فمات دخل الجنة •

ولا تقف فضائل الدعاء عند حد • ففى كل شـــأن من شئون المسلم ذكر ودعاء واستعانة بالملك العظيم الذى اليه تصير الأمور • أما حالة الدعاء فحضور القلب وتيقن الاجابة وعدم التعجل وحسن الظن لحديث الترمذى (ادعوا الله وأنتم موقنون بالاجابة واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه) والحديث المتفق عليه (يستجاب لأحدكم ما لم يعجل • يقول قد دعوت ربى فلم يستجب لى • فقيل ما الاستعجال ؟ قال يستحسر عند ذلك ويدع الدعاء) بمعنى أنه يغفل عما يدخره الله له من الخير ، وأن لا يدعو باثم أو قطيعة رحم لحديث الترمذى (ما على الأرض مسلم يدعو الله تعالى بدعوة الا آتاه الله اياها أو صرف من السوء مثلها مالم يدع باثم أو قطيعة رحم) والبعد عن الحرام والباطل كله لحديث سعد رضى الله عنه (أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة) •

وقد شملت الآيات كثيرا من القواعد والقيود من ذلك قوله تعالى (ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين • ولا تفسدوا فى الأرض بعد اصلاحها ، وادعوه خوفا وطمعا ، ان رحمة الله قريب من المحسنين) ٥٦ ــ الأعراف • ارشاد منه سبحانه الى دعائه الذى هو صلاحهم فى دنياهم وأخراهم • وفى الصحيحين رفع الناس أصواتهم بالدعاء فقال صلى الله عليه وسلم (أيها الناس اربعوا على أنفسكم فانكم لا تدعون أصم ولا غائبا • ان الذى تدعون سميع قريب وهو معكم)يروى ابن جريج عن ابن عباس رضى الله عنهما فى الآية قال : فى السر • أما ابن جرير يقول : تضرعا وخفية أى تذللا واستكانة لطاعته • وخفية بخشوع قلوبكم وصحة اليقين بوحدانيته وربوبيته فيما بينكم وبينه لا جهارا مراءاة • أما ابن المبارك فيقول : لقد كان المسلمون يجتهدون فى الدعاء وما يسمع لهم صوت • ان كان الا همسا بينهم وبين ربهم• ذلك أن الله ذكر نبيا صالحا رضى فعله فقال (اذ نادى ربه نداءخفيا) فالتضرع أنسب وأليق فى مناجاة الله • والخفية أفضل لأنه أمـــر بين العبد وربه بـــلا وسيط • وهـــو مخ العبادة وروحها • انه لا يحب

المعتدين • والاعتداء كثير • منه المظالم فى الأموال والدماء والأعراض، والعقوق للوالدين والأرحام وترك الفرائض • وشر أنواع الاعتداء فى الدعاء التوجه فيه الى غير الله ، ولو ليشفع عنده ، لأن الله قـريب مجيب • والمسلم هـو من يدعوه تعالى وحده ، ولا يدعو معه غيره (فلا تدعوا مع الله أحدا) ١٨ ــ الجن • ومن دعا غير الله فيما يعجز هو وأمثاله عنه ــ من شفاء وسلامة ونصر وحفظ وغيره ــ فقد اتخذه الها ، لأن الاله هو المعبود الذى يقصد ويرجى • وما من اله الا الله• قال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشـف الضر عنكم ولا تحويلا) ٥٦ ــ الاسراء • وقال (ولا تدع من دون اللهمالا ينفعك ولا يضرك • فان فعلت فانك اذا من الظالمين) ١٠٦ ــ يونس • وقوله (ذلكم الله ربكم له الملك • والذين تدعون من دونه مايملكون من قطمير • ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم • ولا ينبئك مثل خبير) ١٤ ــفاطر•

نعم ان طلب الدعاء من المؤمن مشروع من الأحياء دون الأموات الذين لا يملكون ، وتوقف سعيهم ، ولا يسمعون ولا يجيبون ، ويوم القيامة يتبرءون • أما الله فهو الحى القيوم مدبر الأمر • وآية كريمة يقول عنها قتادة انها خصومة علمها الله محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه يخاصمون بها أهل الباطل والضلالة ، لأن دعاء غير الله تعالى تحول وارتداد عن دعاء القادر الى دعاء العاجز هى قوله (قل أندعو من دون الله مالا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد اذ هدانا الله ــ الى قوله وأمرنا لنسلم لرب العالمين) ٧١ ــ الأنعام • وأعاد الدعاء فى آية الأعراف بشرط آخر بعـد أن وسط بينهما النهى عن الفساد للايذان بأن من لا يعرف العبودية والاسـتقامة على أمر الله فانه أقرب الى الافساد بعيد عن رحمة الله التى هى قريب من المحسنين• الذين يحسنون التوجه الى الله ويحسنون العمل فى الحياة خوفا مما عنده من ويل العقاب للمسيئين ، وطمعا فيما عنده من جزيل الثواب

نزلا للمؤمنين • وآية تركز على هذا الاخلاص هى قوله تعالى (واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول) ٢٠٥ ــ الأعراف• حالة لا تخدش الخشـــوع ولا تناقض الضراعة والعبودية ــ صوت خفيض ــ يستثنى من ذلك قنوت الامام فى الصلاة وغيرها •

ويسن رفع اليدين لحديث أبى داود قوله صلى الله عليه وسلم (سلوا الله ببطن أكفكم ولا تسألوه بظهورها فاذا فرغتم فامسحوا بها وجوهكم) وحديث أم المؤمنين السيدة عائشة رضى الله عنها عند البخارى أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا أوى الى فراشه كل ليلة جمع كفيه ونفخ فيهما ثم قرأ قل هو الله أحد والمعوذتين ثم يمســـح بهما ما استطاع من جسده • يبدأ بهما على رأسه ووجهه) يفعـــل ذلك ثلاثا ، مع الالحاح فيه •

ويجب استفتاح الدعاء بحمد الله والثناء عليه ثم يختم بالصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم لحديث أصحاب السنن عن فضالة رضى الله عنه قال سمع النبى صلى الله عليه وسلم رجـــلا يدعو فى صلاته ولم يصل على النبى فقال : عجل هذا • ثم دعاه فقال : اذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه ثم ليصل على النبى صلى الله عليه وسلم ثم ليدع بعد بما شاء) وأيضا يختم بآمين منفردا وجماعة لحديث أبى داود (خرجنا مع النبى صلى الله عليه وســـلم ذات ليلة فأتينا على رجل قد ألح فى المسألة فوقف النبى يسمع منه فقال : أوجب ان ختم فقيل بأى شىء ؟ قال : آمين • وانصرف فقيل للرجل يافلان قل آمين وأبشر) •

وبما أن المؤمن دائم الصلة بربه ، فان هناك أوقاتا تكون أدعى للاجابة ، لما لها من أهمية ليحرص عليها • منها : عند النداء لحديث

جابر بن عبد الله رضى الله عنهما عند البخارى • وبين الأذان والاقامة لحديث أنس رضى الله عنه عند أبى داود قوله صلى الله عليه وسلم (لا يرد الدعاء بين الأذان والاقامة • قيل ماذا نقول ؟ قال : سلوا الله العافية فى الدنيا والآخرة) وفى السجود لما روى مسلم (أقرب مايكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء فقمن أن يستجاب لكم) وفى جوف الليل وبعد الصلوات ، لحديث الترمذى (قيل للنبى صلى الله عليه وسلم أى الدعاء أسمع ؟ قال : جوف الليل الأخير ودبر الصلوات المكتوبات) وحديث البخارى (ينزل ربنا الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول : من يدعونى فأستجيب له • من يسألنى فأعطيه • من يستغفرنى فأغفر له) يتضمن هذا وأكثر منه قوله تعالى (تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا) ١٦ ــ السجدة • وعند نزول المطر والحرب ودعوة المظلوم وعند افطار الصائم ، والمضطر والساعة التى فى يوم الجمعة حيث لا يوافقها مسلم يسأل الله خيرا الا أعطاه اياه • ولعل هذه الظروف مما يجعل المسلم حريصا فى صلته بربه دوما صباحا ومساء وما بينهما ، امتثالا لهداية الله فى مثل قوله (فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى) ١٣٠ ــ طه • والدين شمول للخير ، من ذلك دعوتك لأخيك لحديث مسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال (دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة • عند رأسه ملك موكل كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل به آمين ولك بمثله) •

ومن ثمارها صفاء النفس وتزكية القلب واخلاص العبودية ومعرفة اللجأ والافتقار الى الغنى الحميد ، وتحقيقا لوعد الله بالسلامة يوم القيامة للمؤمنين منة منه لقوله تعالى (فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم • انا كنا من قبل ندعوه ، انه هو البر الرحيم) ٢٨ ــ الطور •

وبعـــدا عن قوم ذمهم الله حيث ابتلاهم بالمصائب والشدائد « فما استكانوا لربهم ومـــا يتضرعون » ٧٦ ــ المؤمنون ، أى فما ردهم الابتلاء عما كانوا فيه من المخالفة بل استمروا على ضلالهم ، ما خشعوا وما دعوا ربهم ، ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون.

وأجمل سؤال ما كان بأسماء الله الحسنى ، وما كان من فضله، وماكان برحمته الواسعة ، لقوله تعالى (واسألوا الله من فضله)٣٢ــ النساء . وقوله (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها) ١٨٠ ــ الأعراف روى الامام احمد عن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ما أصاب أحد قط هم ولا حزن فقال اللهم أنى عبدك ابن عبدك ابن أمتك ناصيتى بيدك ماض فى حكمك عدل فى قضاؤك ، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته فى كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به فى علم الغيب عندك ، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبى ونور صدري وجلاء حزنى وذهاب همى الا أذهب الله حزنه وهمه وأبدله مكانه فرحا . فقيل أفلا نتعلمها ؟ فقال بلى ينبغى لكل من سمعها أن يتعلمها) وكما دعا صلى الله عليه وسلم يوم الطائف(ياحى ياقيوم يابديع السموات والأرض ياذا الجـــلال والاكـــرام برحمتك أستغيث فأغثنى) وفى الكتاب الكريم نماذج من دعوات الأنبياء وهم أئمة الهدى فبهداهم اقتده . ان الدعاء قوة يتزود بها المؤمن حتى يمضى الى صلاح دينه ودنياه وآخرته . اللهم آتنا من لدنك رحمة وهىء لنا من أمرنا رشدا . وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله أجمعين . آمين .

أحمد طه نصر

المولد النبوى

بقلم سليمان رشاد محمد

كتب الاستاذ محمد فهمى عبد اللطيف فى (يوميات الأخبار) فى عدد جريدة الأخبار الصادر بتاريخ الاربعاء ١١ ربيع الأول ١٤٠٢ — ٦ يناير سنة ١٩٨٢ تحت عنوان (المولد النبوى) كلمة حق قال فيها : (الاحتفال بالمولد النبوى الشريف ليس أصلا من أصول الاسلام ولا هـو مما جاءت به تعاليمه ، وليس صحيحا مازعمه بعض مؤلفى قصة المولد من أن النبى صلوات الله عليه أوصى بأن يحتفل المسلمون بمولده بعد أن يموت)

ثم مضى الكاتب يقول (وهو بدعة ابتدعها الصوفية ، وأول ماظهر الاحتفال بالمولد فى بلاد فارس ، ثم انتشر الأمر فى هذا فى بلاد الشمال الافريقى ، وصارت لهذا الاحتفال تقاليد ومظاهر وشارات من شارات الصوفية ومعالمهم ، ولم تعرفه القاهرة الا بعد أن جاء الفاطميون اليها من شمال افريقيا وأقاموا الاحتفال بالمولد النبوى وموالد آل البيت)

ثم قـال الكاتب (والذين تناولوا كتابة هذه القصة بشعورهم الصوفى لم يتحروا فى ذلك حقيقة التاريخ ، ولكنهم صنعوها من فيض خيالهم ، ووضعوا فيها البشائر كما يحلو لهم ، حتى لترى فيها الأباريق من فضة والطيور ذات المناقير الذهبية ، وترى فيهـا الجن والانس والحيوان والنجوم قد تباشرت بمولد النبى ، والشجر أورق لمولده ، والروض ازدهى لمقدمه ، والسماء دنت من الأرض حين مس الأرض

جسمه الكريم • انها خرافات وتصورات لم تصح فى خبر ولا حديث ، انما هى وثبات خيال ، وشطحات الصوفية الذين تفننوا فى كتابة صيغ هذه القصة التى اشتهرت باسم قصة المولد النبوى الشريف)

ثم قال الكاتب (ومنذ أربعين عاما أو أكثر فكرت وزارة الاوقاف فى كتابة قصة المولـد النبوى الشريف بصيغة يتحـرى الكاتب روح الحقيقة والابتعاد عن الخرافات والتهاويل)

ثم قال (ولكن الدكتور طه حسين كتب مقالا طويلا ينكر هذا) ولعل هذا الموقف من طه حسين هو ما أشار اليه فقيدنا الاستاذ محمد جمعه العدوى ــ رحمه الله رحمة واسعة ــ وأنه كان الدور الـذى قام ببثه فى المجتمع الاسلامى ، وذلك فى عدد صفر ١٤٠٢ من هـذه المجلة •

وفى نفس العدد من الجريدة كتبت (أمينة الصاوى) مقالا تحت عنوان (وعاء النور) جمعت فيه كل ما قيل من الخرافات والتهاويل والأكاذيب حول قصة المولد •

وفى نفس العدد أيضا قصيدة من شعر (عبد الحفيظ عبد العال) فيها من الغلو والاطراء والدعاء والاستغاثة وكل ما نهى رسول الله صلى الله عليه أن يوصف به أو يوجـه اليه ، لا تواضعا كما يزعم المتحذلقون فليس فى قول الحق وارساء قواعده تواضع ، انما حفاظا لجانب التوحيد وتوكيدا لجانب العبودية لله الواحد الأحد الـذى لا شريك ولا ند له •

الى متى نغذى شبابنا بهذه السموم ، والى متى نلوى أعناقهم عن الحق الى الباطل ، والى متى نحشى رءوسهم ، ونملأ صدورهم ، ونزيف مشاعرهم بهذه الخرافات والأكاذيب التى لا يمكن أن تصمد أمـام حقائق الكون والوجود التى يتوصلون اليها كلما تقدمت بهم الأعمار وأتسعت عندهم المدارك وتحصلت لديهم من العلوم ، عندها

يدركون زيف ما لقنوا وبطلان ما قرءوا وسمعوا ممن تصدوا للدعوة الاسلامية ولم يكن لديهم الا تلك الخرافات والأباطيل يبثونها بين الناس .

اذا أردنا أن ننشىء أجيالا من الشباب المبرأ من الانحراف والتعصب والانحلال ، اذا أردنا أن يكون شبابنا سليم العقيدة مزودا بحقائق الدين الذى يتفق تماما مع حقائق الكون والوجود ، ولايختلف مع أى ناموس من نواميس الوجود ، ولا يتعارض مع أى قانون من قوانين الحياة ، ولا يصادم أى حقيقة من حقائق العلم مهما تقدم العلم .. اذا أردنا ذلك يجب أن نغرس فى وجدانه الدين منذ نعومة أظافره وطفولته المبكرة من القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف، يجب أن يتعلم الدين من نبعيه الصافيين كتاب الله سبحانه وتعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، يجب أن يتعلم أن كل ماخالفهما فهو باطل . يجب أن يتعلم أنه لا يهدى للتى هى أقوم فى جميع الأمور الا القرآن ، وأنه لا يبين ما نزل فيه أكمل بيان وأتمه وأوضحه الا حديث رسول الله .

اذا شب الانسان مع قول الله تعالى (ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) ومع قوله تعالى (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا) ومع قوله تعالى (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء) وقوله تعالى (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا) . ومع توجيهات الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم كقوله لابن عمه عبد الله بن عباس رضى الله عنهما « ياغلام انى أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك ، اذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك الا بشىء قد كتبه الله لك ، وان اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يضروك الا بشىء قد كتبه الله عليك » وكقوله عليه الصلاة والسلام « اتق الله

حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن» ومع قوله « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد » وقوله « لايؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به » وقوله « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » وقوله « من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الايمان » اذا شب الانسان كذلك فلن يقبل عن الصراط المستقيم المعتدل بديلا •

هـذه أمثلة والا فالقرآن كله هدى ورحمـة ونور ، والحديث الصحيح كله كذلك ، فاذا انسكب فى وجدان الشاب منذ طفولته هذا النور وهذا الهدى فانه ولا بد سينشأ باذنه تعالى مسلما تقيا ورعا مستقيما بنى دينه على أساس التوحيد : التوحيد الذى تعلمه من كتاب ربه وحديث رسوله ، لاتوحيد سقراط والعرفاء وكهان وادى النيل كما قال شاعرهم • ان التوحيد الخالص اذا خالط بشاشته القلب فلا يمكن أن ينحرف الى صوفى أو قبورى أو أى ضلالة أخرى • والله الهادى الى سواء السبيل •

سليمان رشاد محمد

بقية مقال (أسمار وأباطيل) ••

تقوم على الحكمة السامية ، وتتنزه عن العبث ، ولا يخرق الناموس الكونى بمثل هذه الصورة لكى يدعو النبى أبويه الى الاسلام ، ولكنها عقدة البحث عن الخوارق ، فاذا كان عيسى عليه السلام أحيا الموتى باذن الله فان النبى صلى الله عليه وسلم هو الآخر قد حظى بهـذه المعجزة ، فأحيا الله له أبويه ، ونسى أولئك الأغفال أن الفضـل بيد الله يؤتيه من يشاء ، وحسب النبى صـلى الله عليه وسـلم معجزة القرآن الخالدة ، بشريعة الله الكاملة للانسانية جمعاء ، ولكن القوم لا يعقلون ، ولا حول ولا قوة الا بالله ••

على عيـد

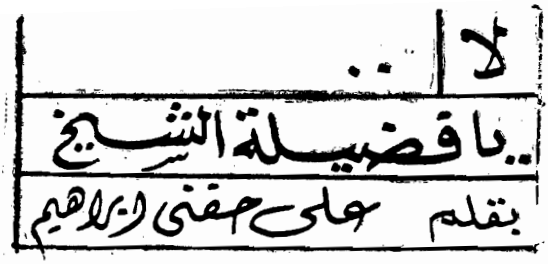

فى عدد شهر ذى الحجة ١٤٠١ من مجلة « المجاهـد » ثلاثة أسئلة وجهها رئيس تحريرها الى فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى• السؤال الأول يدور حول الصلاة فى المساجد التى فيها أضرحة • وقد أجاز فضيلته الصلاة فى تلك المساجد • والسؤال الثانى أجاز فيه تقبيل المقاصير المقامة حول تلك الأضرحة • والسؤال الثالث أجاز فيه التوسل بالأولياء والصالحين

ولما كانت هذه القضايا الثلاث تتعلق بالعقيدة الاسلامية رأيت أن أبين فيها الحق •

والذى أجازه فضيلته كان عليه الناس قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كانت من جنس عقائد الناس اليوم فى الاولياء والصالحين • حيث كانوا يعتقدون فيهم البركة والنفع والضر وكانوا يستغيثون بهم ويسـألونهم كشف الكربات وجلب المنافـع • وكانوا يتوسلون بهم الى الله سبحانه • وقد جاء الاسـلام فطهـر قلوب الناس منها وأقامهم على الحق الخالص القائم على العلم فقرر أن كل انسان موقوف على عمله « ولا تزر وازرة وزر أخرى » « وأن ليس للانسان الا ما سعى » وأن الانسان حيا كان أو ميتا عبد لا يملك لنفسه أو لغيره ضرا ولا نفعا • وأن الميت قد أصبح بمعزل عن الدنيا لا يدرى عنها شيئا ، وقد أصبح فى عداد أهل الآخرة ينعـم أو يعذب بما أعد الله له حسب عقيدته وعمله من حيث لا يعلم الأحياء من ذلك شيئا •

وانما يأتى الناس هـذه الاعمال من تقبيل المقاصير والأعتاب والطواف حول القبر وطلب المدد من المقبور وقصد الصلاة فى المساجد التى فيها القبور لاعتقادهم أن أصحاب هذه القبور لهم خاصية عند الله فوق خاصية بقية البشر يمكن بها أن ينفعوا الناس ويكشفوا عنهم الضر ويعتقدون أنهم أحياء فى قبورهم يسمعون دعاء الداعين ويملكون اجابة دعاء من دعاهم

وقد جاء الاسلام فنادى بوجوب ابطال هذا كله وأمثاله وترك الناس على الحق الذى لاتشوبه أية شائبة واعتبر هذا كله من الجاهلية بحيث لا تجتمع والاسلام فى قلب رجل أبدا

أما عن السؤال الاول : فقد قرر فضيلته أنه لا مانع من الصلاة فى المساجد التى فيها القبور وذكر الحديث « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » ثم قال ان الحديث نص على أن المكان الممنوع فيه الصلاة هو مكان اللحد المقبور فيه الميت أما حوله فلا مانع من الصلاة فيه • وهاك نص عبارته : « فنحن نسلم بالدليل (يعنى بالحديث المذكور آنفا) ولكن نسأل فنقول ما هو القبر ؟ القبر ما قبر فيه الانسان ووورى فى التراب يعنى اللحد • يعنى القبر مكان دفن الميت • وهل القبر يتخذ فى أى مكان من المسجد أم أنه يوضع وحوله سياج أى مانع وهو ما نسميه المقصورة ليكون مقصورا أى محبوسا عن المسجد أى قصرت على القبرية فلا تتعدى مكانا آخر من المسجد » وهنا أسأل فضيلته عن معنى الحديث الذى رواه البخارى ومسلم عن عائشة رضى الله عنها أن أم حبيبة وأم سلمة رضى الله عنهما ذكرتا للنبى صلى الله عليه وسلم كنيسة رأتاها بالحبشة فيها تصاوير • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أولئك قوم اذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله » يوم القيامة • وأسأل فضـيلته : هل أقيمت الكنيسة فوق مكان اللحد ؟ هذا غير مقبول بالمرة اذ لا يمكن

أن تسمى كنيسة بهذا الحجم الصغير على سعة القبر فقط • كما أنهما رضى الله عنهما سألتا عن الكنيسة لا عن القبر • وانما المفهوم من الحديث أنهم أقاموا الكنيسة وأدخلوا فيها الميت الصالح منهم كما هو الحال فى المساجد التى فيها القبور اليوم •

والأعجب من هذا أن يحتج فضيلته بما عليه الحال فى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم • اذ المعروف أن المسجد الشريف يضم القبر الشريف وقبرى الصحابيين الجليلين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما • وليس لفضيلته حجة فى ذلك اذ أنه صلى الله عليه وسلم قد مات فى حجرة عائشة رضى الله عنها وقد كانت حجرات نسائه رضى الله عنهن ملاصقات للمسجد وما كان يفصل بين الحجرات وبين المسجد الا ستر أو باب ولما مات صلى الله عليه وسلم فى حجرة عائشة رضى الله عنها دفن فيها بناء على ما بينه أبو بكر حتى جاء الوليد بن عبد الملك بن مروان فقام بتوسيع المسجد عام ٨٨ هجرية وأدخل القبر الشريف فى المسجد وكان ذلك لأهداف سياسية لا يتسع المجال لذكرها وما أظن فضيلته يجهل هذه القضية • والعبرة هنا بما قال النبى صلى الله عليه وسلم عن المساجد اذ أن الأحكام منوطة بما حكم به الله ورسوله وليس بما أحدث الناس ولولا ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله « صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام » لكان لنا فى الصلاة فيه حكم آخر • هذا وقد يدعى البعض أن العبرة هنا بنية الانسان فمادامت نيته سليمة والاخلاص رائده يحكم على عمله بالصحة والقبول ، والحق أن الله كما طالبنا بالاخلاص فان له شرعا ومنهجا يطالبنا بتنفيذه ، وقد نهى صلى الله عليه وسلم أن نتخذ على القبور مساجد فكيف يجيز فضيلته الصلاة فيها بعد هذا النهى • ولقد منع صلى الله عليه وسلم بناء المساجد على القبور صيانة لحمى التوحيد الذى هو الركن الأول فى الاسلام • وانك لو رأيت أيها القارىء الكريم الناس وهم

يطوفون حـــول القبر داعين راجين الميت يستلمون المقاصير لتقبيلها ضارعين لهذا الميت لكى يقضى لهـــم حاجاتهم ويفرج عنهم كروبهم لعلمت الحكمة التى من أجلها حرم الاسلام ذلك .

اذ أن ما يقومون به حول هذه الأضرحة يتعارض مع توحيد الله عز وجل . ثم اليك أيها القارىء الكريم بعض الأدلة التى تنهى عن ادخال القبور داخل المساجد : ـــ

١ ـــ قال الله تعالى من سورة الجن « وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا »

٢ ـــ عن عائشة رضى الله عنها قالت قال الرسول صلى الله عليه وسلم فى مرضه الذى لم يقم منه « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مســـاجد » قالت فلولا ذاك أبرز قبره غير أنه خشى أن يتخذ مسجدا (متفق عليه)

٣ ـــ عن جندب قال سمعت الرسول صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت بخمس وهو يقول « انى أبرأ الى الله أن يكون لى منكم خليل فان الله تعالى قد اتخذنى خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا ولو كنت متخذا خليلا من أمتى لاتخذت أبا بكر خليلا . ألا وان من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد انى أنهاكم عن ذلك » (متفق عليه)

٤ ـــ روى سعيد بن منصور فى سننه عن سهيل بن أبى سهيل قال رآنى الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب عند القبر فنادانى وهو فى بيت فاطمة يتعشى فقال هلم الى العشاء . فقلت لا أريده . فقال مالى رأيتك عند القبر ؟ فقلت سلمت على النبى صلى الله عليه وسلم فقال اذا دخلت المسجد فسلم . ثم قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا تتخذوا قبرى

عيدا ولا تتخذوا بيوتكم مقابر • لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد وصلوا على فان صلاتكم تبلغنى حيثما كنتم • ما أنت ومن بالأندلس الا سواء »

واما السؤال الثانى الذى أجاز فيه فضيلته تقبيل المقاصير فهو يقول انه بينما كان يقرأ الفاتحة للحسين رضى الله عنه اذ أقبل عليه أحد الناس وسأله أن ينكر على رجل رآه يقبل المقصورة فقالفضيلته للسائل انى أريد أن أقبل رأسك فلما قبلت رأسه قلت هل أنت راض قال نعم • فقلت له لماذا ؟ قال لأنك قبلت رأسى فقلت له والله ماقبلت رأسك وانما قبلت عمامتك لأن بين فمى ورأسك عمامة ضخمة • ومن هنا نعلم أن من قبل المقصورة ليس معناه أنه قبل الحديد وانما يقبل مافى القبر حبا فيه • انتهى كلام الشيخ • بالله عليك أليست هـذه مغالطات ؟ ان هذا الكلام لا يحتاج الى رد يبطله اذ أنه واضح البطلان•

فيكفى ان هناك فرقا بين الحى والميت وأن الذى يقبل رأسك وتقبل رأسه حى يسمعك ويبادلك الحب والحديث • بل لو قبلت رأس من قبلت بخضوع وخشوع فان ذلك لا يرضاه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم اذ أن هذا الخضوع لا ينبغى أن يكون الا لله وحده • والأهم من ذلك القصد من تقبيل المقاصير : أن المقبل للمقاصير انما قبل النحاس والخشب المضروب حول الميت ولم يقبل انسانا ، ثم هو ماقبله الا اعتقادا منه أن الولى الميت فيه بركة أفاضت على ماحوله من الجمادات فأصبحت هى الأخرى شيئا تستمد منه البركة والبر والرحمة • وهكذا استطاع الشيطان أن ينزل بالناس الى هذا المستوى من التفكير •

وهذه القضية تدور حول الاعتقاد أن هذا الولى حى فى قبره يرى الناس ويسمع كلامهم ، والا لما فعل الناس بالمقاصير هذا الذى فعلوه من التقبيل والطواف حول قبره يضاهئون بذلك بيت الله الحرام•

روى البخارى فى صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « بينما أنا على الحوض اذ يمر على رجال من أصحابى فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول أصحابى فيقال انك لا تدرى ما أحدثوا بعـدك فأقول سحقا سحقا لمن بدل بعدى ، أنا برىء ممن بدل بعدى » فهذا رسول الله بعد موته لم يعرف عن دنيانا شـيئا أفترى أن من دونه يتصل بالناس الاحياء ويسمع منهم ؟

على أننا لا ينبغى أن نترك مسألة قراءة الفاتحة تمر من غير بيان للحق والباطل فيه •

هل يجوز قراءة القرآن للموتى ؟ نحن لو تفهمنا سورة الفاتحة من أولها الى آخرها فسنجدها تخاطب الاحياء دون الاموات • بل القرآن كله على ذلك يخاطب الله عباده الاحياء يرشدهم الى التى هى أحسن يقول تعالى من سورة يس : « ان هو الا ذكر وقرآن مبين لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين » وجاء فى صحيح مسلم « والقرآن حجة لك او عليك » ورسول الله صلى الله عليه وسلم قد تكررت زيارته للمقابر ومع ذلك لم يثبت عنه أنه قرأ شيئا من القرآن للموتى وانما كان يقول « السلام عليكم دار قوم مؤمنين وانا بكم ان شـاء الله لاحقون اللهم اغفر لهم وارحمهم » الى غير ذلك من الاحاديث • هذا ولم نجد لمن يجيز قراءة القرآن على الميت حجة من قرآن أو حديث

أما السؤال الثالث الذى أجاز فيه فضيلته التوسـل بالاولياء والصالحين فهـو أمر له العجب فان القرآن ينقل الينا صنيع أهـل الجاهلية الاولى مع الصالحين أنهم كانوا يعتقدون فيهم اعتقاد أكثر الناس اليوم فى الصالحين والذى بنوا عليه توسلهم بهم الى الله • قال الله تعالى « ألا لله الدين الخالص ، والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى • ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون ، ان الله لا يهدى من هو كاذب كفار »

وربما يقول البعض ان كلمة « نعبدهم » تعنى أن المشركين عبدوا الاولياء واتخذوهم وسطاء ونحن لم نعبد الاولياء • وردنا أن لفظ « عبادة » معناه الخضوع والخشوع والذل • تقول العرب : طريق معبد ، وناقة معبدة يعنى سهلة وذلولا • والذين يتوسلون بالموتى ينتابهم نفس الشعور والاحساس من الخضوع والخشوع ثم التذلل بناء على ما اعتقدوه أن فيهم سرا وبركة • والعجب من فضيلته اذ يسوق قصة عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى استسقائه بالعباس بن عبد المطلب رضى الله عنه على أنها حجة على التوسل بالموتى • والحق أن هذه القصة حجة عليه وليست له فان عمر بن الخطاب قد توسل بالعباس وهو حى وترك التوسل بالنبى صلى الله عليه وسلم وقال اللهم انا كنا نتوسل بنبيك فتسقينا وها هو نبيك قد مات ونحن نتوسل بعم نبيك فاسقنا • ومعنى التوسل هنا أن يجعله اماما فى دعاء صلاة الاستسقاء • فهل وضح الامر ؟

اللهم انا نشهد أنه لا ينفع الانسان عندك الا عمله وايمانه وأنه من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه وأنه لا صلة بين الله وبين أىأحد من الخلق الا صلة عبد برب يستوى فى ذلك الخلق جميعا حتى رسل الله • وانما حجتنا فى ذلك القرآن والحديث وبين أيدينا قصص أنبياء الله نوح وابراهيم وخاتمهم محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين• وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم لأهله وعشيرته « اعملوا فلن أغنى عنكم من الله شيئا ويا فاطمة بنت محمد سلينى من مالى ما شئت فلن أغنى عنك من الله شيئا » • ويقول تعالى « فاذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون » ويقول « كل نفس بما كسبت رهينة » •

والسلام على من اتبع الهدى •

على حفنى ابراهيم

حق الوالدين

بقلم : أحمد لطفى السيد

ان الله سبحانه وتعالى أوحى الى أنبيائه ومرسليه أن يأمروا الانسان بطاعة والديه « وصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين أن أشكر لى ولوالديك الى المصير » .. حملته أمه فى بطنها كرها ووضعته كرها ، وأرضعته وذاقت فى سبيل رعايته وانمائه سنين نصبا ، يقاسمها فى هذا النصب أبوه ، يمتعانه ويعلمانه ويغدقان عليه من حب خالص وعطف وحنان ، فيتفتح للحياة ويخرج لها فى دفء يعينه على رؤية الحياة بهيجة جميلة . ينفع نفسه ومجتمعه كخطوة صالحة فى تقدم المجتمع كله . كما يوحى الله الى رسله أن يقدم الابن الشكر للطرفين : الطرف الأول : هو الله تعالى الذى سخر له أبويه فعملا معه هذا الفضل بدون مقابل .. الطرف الثانى : هما الوالدان اللذان أسبغا عليه من حدبهما ولم يقصدا من تربيته الا ابتغاء وجه ربهما الأعلى ... وان الوالدين والابن جميعا مصيرهم الى الله سبحانه وتعالى فيجازى المحسن منهم ويعاقب المسىء .

هذا الفضل من الوالدين — بدون أدنى شك — لا يجوز أن يقابل من ناحية الابن بأى جحود أو نكران والا يعتبر عاقا لوالديه عاصيا لهما يستوجب الازدراء من الناس والعقاب من الله .

وجعل الله الاحسان بالوالدين قضاء لا شبهة فيه ولا جدال عليه . شأنه كتوحيد الله وعبادته « وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا . اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما » .

ثم بين الحق تبارك وتعالى ما ينبغى أن يكون عليه الانسان تجاه والديه بيانا مؤثرا يعبر عن واجب القلب والجوارح واللسان «واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا » فالرحمة بهما وخفض الجناح لهما ، مع ما يفهم من قوله « وقل لهما قولا كريما » وقوله « وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا » كل هذه الأعمال التى تصدر عن القلب واللسان والجوارح هى معنى الشكر الذى أمر به الله اذ قال « أن اشكر لى ولوالديك » فالشكر لهما يجب أن يكون شعورا رحيما ، وعملا عظيما ، وقولا كريما وبخاصة اذا بلغ أحدهما أو كلاهما الكبر فان للاحسان اليهما فى هذه الحال قيمة عظيمة.

وهكذا أوردت الآيات المباركة الدستور القرآنى لحقوق الآباء وواجبات الأبناء • فعلى الأبناء أن يبذلوا الحب والعطاء فى حسن وسخاء للآباء ، وألا يضيقوا بهم اذا ما بلغ أحدهما أو كلاهما الكبر فأصابت الشيخوخة قدرتهما على السمع والبصر والفهم اذ على الابن أن يستمع لوالديه متأدبا ، وأن يجيبهما متلطفا مهما تكرر منهما السؤال • ولهذا يقول النبى صلى الله عليه وسلم : « رغم أنف ، ثم رغم أنف ، ثم رغم أنف رجل أدرك أحد أبويه أو كلاهما عنده الكبر ولم يدخل الجنة » • واذا كان الاحسان الى الوالدين فى الكبر سبيلا الى الجنة كما يفهم من هذا الحديث الشريف فليس معنى ذلك أن عمل الأبناء مهما يكن — يرقى الى عمل الآباء ! بل لا يبلغ عمل الابن عمل والديه فى اشفاقهما عليه وتربيته والعناية به فى صغره وضعفه •• ومما روى فى ذلك أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ان أبوى بلغا من الكبر أنى ألى منهما ما وليا منى فى الصغر فهل قضيتهما حقهما ؟ قال : « لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك • وأنت تفعل ذلك وتريد موتهما » •

ولا شك أن ذلك بعض ما يشعر به بعض الأبناء نحو آبائهم وأمهاتهم • ويكفى هذا الفارق لمعرفة قدر الوالدين ، وقدر ما أدياه وتحملاه ، وقدر الاحسان اليهما عند الله •

واذا كان حق الوالدين بهذه المثابة العظيمة .. فان حق الأم أعظم من حق الوالد لأن ذلك ما يشعر به قوله تعالى « ووصينا الانسان بوالديه ،حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين ، أن اشكر لى ولوالديك » فان تخصيص الأم بذكر ما حملته وتحملته يشير الى ما ينبغى لها من زيادة الشكر والشعور بالقدر . وكذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم : فقد جاءه رجل فقال : يا رسول الله: من أحق الناس بحسن صحابتى ؟؟ قال أمك . قال ثم من ؟ قال أمك. قال : ثم من ؟ قال أمك . قال : ثم من ؟؟ قال أبوك .

ومن هذا نرى أن حق المرأة من حيث هى أم أعظم من حق الرجل من حيث هو أب ، وأن حقهما من حيث هما والدان فى المنزلة التى يشير اليها قول الله سبحانه وتعالى « أن اشكر لى ولوالديك » وقوله « وان جاهداك على أن تشرك بى ماليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا » .. فانه « لاطاعة لمخلوق فى معصية الخالق » كما يقول النبى صلى الله عليه وسلم . على أن هذا العصيان بدوره لا يجوز أن يكون سببا فى القطيعة بين الابن ووالديه استنادا الى أنهما مشركان فلا يقدم لهما فى حياتهما ما يعينهما فى معيشتهما أو عدم الاتصال بهما ، أو عدم التخاطب معهما بالقول الطيب أو المعاملة الحسنة . وانما ينبغى عليه أن يصاحبهما فى الحياة الدنيا مصاحبة فيها اعتراف منه بالفضل لهما وذكر محاسنهما تجاهه فى التربية والتعليم والانفاق وما شابه .

ان المجتمع انما يتكون من آباء وأبناء .. فاذا أراد الانسان خيرا لنفسه ومجتمعه فى دنياه وأخراه فليستجب لأمر الله الذى قضى بالاحسان بالوالدين .. وأما من لم يستجب فيكون قد عصى الله وتعدى حدوده .

أحمد لطفى السيد